# المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد - الجمهورية العراقية

المجلد 14

العدد 1



رئيس التحرير مراد الكبيسي

سكرتيرة التحرير هدى شوكت بهنام



WWW.ATTAWEEL.COM

# النحو العربي وأثره في نشوء النحو العبري وتطوره

الدكتور

محمد حسن ابراهيم

كلية الاداب ـ الجامعة الاردنية

## توطئة

ليعذرني القارىء ان لم استطع مقاومة اغراء بلحّ عليّ في كتابة هذه التوطئة التي قد لا يرى فيها صلة وثيقة بمادة البحث . مصدر الاغراء والالحاح هذين كان تجربة شخصية مريرة اوحت اليّ بالتفكير في كتابة هذا البحث ، مما دفعني الى تتبعه في كل مااستطاعت ان تقع عليه يداى ، ليجيء في النهاية على هذه الصورة التي ارجو ان تحفز غيرى من الزملاء والمختصين الى مزيد من البحث فيه ، والى استقصائه بشكل افضل .

فقد أتيح لي قبل سنتين ونيّف ان اتفرغ للبحث العلمي في بلد اوروبي ، وما ان وصلته حتى سعيت الى الحصول على كتاب تعذر حصولي عليه في الاردن . وكان ذلك الكتاب احد المجلدات الضخمة التي شرعت دار موتون للنشر في لاهاى في اصدارها منذ عقدين من الزمان او يزيد ، وخصصت كل مجلد لجانب من جوانب علوم اللسان الحديثة . أما المجلد الذي حرصت على قراءته فكان المجلد الثالث عشر من هذه السلسلة الذي خصّص للتاريخ للدراسات والعلوم اللسانية عند مختلف الشعوب والأمم .(١) وكان مصدر اهتمامي بهذا المجلد هو رغبتي في الاطلاع على ماكتب فيه عن تاريخ الدراسات اللغوية واللسانية عند العرب . وما ان اطلعت على هذا الجزء من الكتاب وقارنته بما جاء فيه عن أمم اخرى حتى اصابني الذهول . فقد تبين لي ان المقالة الخاصة بالدرس اللساني عند العرب قد اسندت الى يهودى اسرائيلي لم يجد ما يقوله عن ذلك التراث العربي العريق الممتد عبر قرون عديدة ، سوى احدى عشرة صفحة ، اضاف اليها ثماني صفحات من المراجع ؛ فكانت المقالة في مجملها تسع عشر صفحة من بين الف وخمسمائه وثماني عشرة صفحة هي مجموع صفحات الكتاب .(٢) هذا في حين استغرق الحديث عن المدرسة البنيوية الامريكية ، التي لا يتجاوز عمرها نصف قرن ما مجموعه مائتان واربع وسبعون صفحة في الكتاب ذاته ؛ كما استغرق الحديث عن الدرس اللغوى عند اليهود ستا واربعين صفحة . وباختصار ، فقد كانت المقالة الخاصة بعلوم اللسان عند العرب اقصر المقالات العشرين التي ضمّها جزءا الكتاب الضخم ، بل واكاد اقول ؛ بانها كانت اردأها .

وقد ازدادت دهشتي حين تحوّلت لقراءة الجزء الخاص بتاريخ النحو العبري الذي كتبه يهودي بالطبع .(٣) فوجدت ان تلك المقالة لا تمت بصلة الى موضوع الكتاب . لقد كانت هذه المقالة سردا مفصلا لتاريخ اللغة العبرية وليس لتاريخ الدراسات اللغوية عند اليهود ولا ادرى كيف عمي محرر الكتاب او تعامى عن هذه الحقيقة وادرج هذه المقاله في كتابه ، عندها اردت ان اجد الجواب عن هذا التساؤل الذي لم اكن اعرف عنه الكثير واخذت افتش عن بعض المصادر والمراجع التي تعينني في معرفة شيء عن تاريخ النحو العبدي ؛ وما ان فرغت من قراءة كل ما استطعت العثور عليه حتى تكونت لدي فكرة عن المسالة المذكورة عن الدرس اللغوي عند اليهود انما كتبت بالشكل الذي جاءت فيه كيلا يعرف القارىء ان النحو العبرى نشأ ونما

واكتمل في كنف النحو العربي وبفضله ومن ذاالذي يريد ان يعترف في عام ١٩٧٥ بأنه كان للعرب فضل على اليهود في اي وقت خصوصا اذا كان الكاتب يهوديا ؟ .. لم يذكر الكاتب العرب او اثرهم الا في عبارات قليلة معدودة على الصفحتين ١٣٠٨ و ١٣٠٥ كمثل قوله بانه كان للعربية اثر على العبرية في القرون الوسطى حين ادخلت في الثانية بعض المفردات من الأولى ويورد للتدليل على ذلك بعضا من المصطلحات الفلسفية التي يقول بأنها ترجمة لمصطلحات عربية نقلها العرب بدورهم من اللغة السنسكريتية . وفيما عدا ذلك لم يشر الكتاب على الاطلاق بشيء عن نشأة النحو العبري وتصوره ، ولا يشير حتى الى اي من المصادر التي تعالج ما قصر هو في معالجته .

وساحاول في الصفحات التالية ان اسرد بشيء من الايجاز الذي لا بد منه قصة نشوء الدراسات النحوية العبرية وتطورها ، معتمدا في اغلب الاحيان على مصادر الفها يهود ، ثم اترك للقارىء بعد ذلك استخلاص النتيجة التي يراها عن اثر النحو العربي في نشأة النحو العبرى وتطوره .

## نشأة النحو العبرى

لا حظ الدارسون لنشأة النحو عند امم كثيرة ان هذه النشأة ترتبط عادة بالخوف على تراث لغوى للأمة من الضياع او الفساد او الخلل . وقد يكون هذا التراث اللغوي ادبيا ، كما قد يكون دينيا . هكذا كانت النشأة الحقيقية للنحو الاغريقي في الاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد وبعده حين بعد العهد باشعار هوميروس ، واصبح من العسير فهمها لاختلاف لغتها عن لغة العصر الذي كتب فيه النحو اليوناني .(٤) فكانت الغاية من كتابة النحو ميسورة،وفهمه ممكنا.كذلك كان الحال عند العرب الذين ما ان احسوا بالتغير يعتور من كل جانب بعد حفظ الادب اليوناني القديم ، وجعل دراسته الفتوحات الاسلامية حتى نهضوا لتدوين لغتهم وكتابة نحوها حفاظا على القرآن الكريم . ونجد مثل ذلك حين نتتبع نشوّ النحو عند الهنود وغيرهم من الامم .

واول ما يلحظة المرء عند دراسته لتاريخ النحو العبري هو تأخره الطويل في الظهور فالمعروف ان الخلل بدا يتسرب الى اللغةالعبرية بعد السبي البابلي وتخريب الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد مما نشأت عنه حاجة للتاليف في النحو . ومن الطريف في الامر ان هذا القرن الذي يعتقد بعض المؤرخين ان النحوي الهندي العظيم « بانيني » قام فيه بكتابة نحو اللغة السنسكريتيه ذي الأجزاء الثمانية ، والذي ما زال يعتبره علماء اللسانيات مثلا يحتذى في كثير من ابوابه ومناهجه .

لقد مضى على اليهود قرابه ستة عشر قرنا منذ حادثة السبي البابلي ، التي كان يصح ان تكون سببا في نشوّ نحو عبرى ، قبل ان يصبح لهم نحو بالمعنى المقصود بالنحو . غير انه لا بدّ قبل التعرض لذلك بالتفصيل من الاشارة الى بعض الدراسات اللغوية ، وليس النحوية ، التي سبقت عصر تدوين النحو العبري .

كانت الدراسة اليهودية قبل نشوّ النحو العبري تنصبّ على التوراة ، وقد نشأ بتعاقب الاجيال تراث ضخم من هذه الدراسات التي تعرف باسم « المازوره » ، غير ان هذه الاعمال لا يمكن ان تحسب في عداد الدراسات النحوية لانها تقتصر على البحث في الحركات والضوابط التي تعين على قراءة التوراة قراءة صحيحة وعلى احصاء بعض الصيغ والحروف في التوراة ،(٥) دون ان يؤدى بهم ذلك الى البحث في اللغة واستنباط قواعدها واحكامها . في هذا الصدد يقول هيرشفيلد بان « هذه المحاولات جميعها كانت لخدمة الاغراض الدينية ، ومن المشكوك فيه ان اليهود كانوا سيفطنون الى وضع نحوهم لولا الحاح المؤثرات الخارجية عليهم للقيام بذلك . »(٦) فما هي تلك المؤثرات الخارجية التي جعلت اليهود يكتبون نحوا لهم بعد كل هذه القرون من الغفلة وفتور الهمّة ؟

هناك اجماع تام بين المؤرخين للنحو العبري الذين رجعت اليهم ؛ وكلهم من اليهود ؛ على انّ النحو العربي كان هو الحافز لنحاة العبرانية على تاليف كتبهم ، كما كان المثل الذي احتذوه عند التاليف بكل دقائقه وتفصيلاته . هذا في حين نجد ان كتب تاريخ النحو والطبقات العربية ، قديمها وحديثها ، تسكت عن اي ذكر للأثر العربي في النحو العبري ؛ مع ان هذا النحو يصح ان يعدّ من حيث منهجه واسلوبه جزءا من التراث النحوي للعرب ، لان كثيرا منه كتب بالعربية في بلاد عربية وفي ظل الحكم العربي ، كما ان التاليف فيه ؛ كما سنبين فيما بعد ؛ كان يحاكي المؤلفات العربية ويقتفي خطاها . ولم اعثر فيما كتب بالعربية على اشارة للأثر العربي في النحو العبري الا في كتاب واحد(٧)

استقى مؤلفه جلّ معلوماته عن هيرشفلد . هذا علاوة على اشارات مختصره كثيرا فيما كتبه بعض العرب من مقدمات لمؤلفات وكتب تعليمية في اللغة العبرية .(٨)

ويعتقد هيرشفلد ان بداية الأثر العربي كانت في بغداد حين اصبحت في القرن الميلادي الثامن وماتلاه من قرون مركزا لمختلف العلوم والمعارف ؛ ومنها النحو ؛ واجتمع فيها في جملة من اجتمع نفر من النحاه وعلماء اللغة اخذوا يلقنون علومهم للدارسين الذين لا بدّ ران كان بينهم بعض اليهود والعرب . ويضيف هيرشفلد بان هناك دلائل اكيدة على الاثر العربي في المؤلفات النحوية العبرية الاولى ، حيث اسماء الحركات وحروف العلة في هذه المؤلفات هي نفسها في المؤلفات العربية .بل ان كتب اليهود النحوية الاولى كتب بالعربية واستخدمت مصطلحات النحو العربي واتبعت النسق الذي يتبعه النحاة العرب في كتبهم .(٩)

اما عن النحو العبري في الاندلس ، فيقول وليام تشومسكي بأن العصر الوسيط في اسبانيا ، إلى فترة الحكم العربي للاندلس ، كان هو العصر الذهبي في تاريخ اليهود . فقد كان ذلك العصر غنياً بالفلاسفة والشعراء والعلماء ، ويتطلع اليهود الى ذلك العهد دائما يستوحون فكره ويستمدون منه العزم . ولعل اعظم ما قدّمه ذلك العصر كان في ميدان النحو العبري الذي اصبح اكثر العلوم شيوعا ؛ وبلغت المؤلفات فيه من الغزارة حدا لم يعرفه اي عصر آخر في تاريخ اليهود ؛ ان من حيث الكمّ او من حيث النوع والاصالة . وعليه ؛ فمن اللائق ان يطلق على ذلك العصر « العصر الذهبي للنحو العبري . »(١٠) وتذهب دائرة المعارف اليهودية الى ابعد من ذلك حين تؤكد ان النحو الذي وضعه اليهود ابان الحكم العربي بمحاكاتهم للنحو العربي ومؤلفات كان ولا يزال النحو الوحيد لهم الذي تأتى من دراستهم للغة العبرية واستقصائهم لها .(١١) .

## الأثر العربي في النحو العبري

يعتبر سعديا ، وهو سعيد بن يوسف الفيومي ، الذي عاش في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي ، ابا النحو العبري اذ لم يصل الينا اي اثر في النحو العبري لمؤلف قبله . ومن المتفق عليه انّ سعديا قد كتب ماكتب ، وهو كثير لم يصلنا منه سوى القليل ، بتأثير من الثقافة العربية الاسلامية التي عاش في كنفها وتمثّلها بعد ان تتلمذ لبعض اعلامها .(١٢) بل ان احد المصادر يذهب الى الى حد القول بان سعديا ، الذي نشأ وتعلم في العراق قبل رحيله الى مصر ، كان يتنازعه مذهبا البصرة والكوفة ؛ وانه انتهى في النهاية الى تغليب مذهب البصريين في الاخذ بالقياس في الامور الدينة؛ في حين اتجه الى الاخذ بالمذهب الكوفي في المسائل النحوية .(١٣) اما الاثار التي تعرفها لسعديا فهي قاموس للغة العبرية القديمة ومجموعة مقالات في النحو اطلق عليها اسم ( كتب اللغة ) وكانت اول محاولة معروفة لكتابة نحو لعبرية التوراة . وقد كتب هذه الاثار جميعها . مثلها مثل كل المؤلفات اليهودية اللغوية التي تعود الى القرن العاشر الميلادى . باللغة العربية بل ان سعديا يقلّد في كتبه اسلوب العرض العربي ويعرض مادته باسلوب الكتب العربية نفسها .(١٤) وباستثناء كتب سعديا فان مؤلفات هذه الحقبة انّفت جميعها في الشطر الغربي منذ الدولة الاسلامية في شمال افريقيا والاندلس . وممن عاصروا سعديا وكتبوا مثل كتبه يهودا بن قريش الذي عاش في شمال افريقيا في الربع الثاني من القرن العاشر ، وهو صاحب رسالة حاول ان يقارن فيها بين الالفاظ العبرية والآرامية في التوراة ، ثم دوناش بن تميم الذي عاش في الفترة نفسها في القيروان وألف كتابا بالعربية عن الصلة بين المفردات في العربية والعبرية، وداود بن ابراهام المغربي الفاسي صاحب اول معجم شامل بالعربية لالفاظ اللغة العبرية ، وغير هؤلاء آخرون وضعوا كتبهم بالعربية كما اسلفنا ، مؤلفات مسجعة وتطرقوا قليلا الى موضوعات نحوية متفرقة .

على أن عصر النحو العبري الحقّ لم يبدا الا في اوائل القرن الحادي عشر الميلادي في الاندلس التي يعود اليها غالبية المؤلفات النحوية العبرية لذلك العهد ، كما ان هذه المؤلفات جميعها ، في اسبانيا وفي غيرها من البلدان ، كتبت بالعربية . كما اكتملت في هذه الفترة ، التي تمتد حتى حوالى منتصف القرن الثاني عشر ، الدراسات النحوية التي شملت عبرية التوراة بجوانبها المختلفة كافه . ومن اول الاسماء التي لمعت في هذا العصر اسم يهودا بن حيّوج الذي عاش في مدينة فاس في اواخر القرن العاشر الميلادي واوائل الحادي عشر .

كان النحو العبري قبل ابن حيّوج يتصف بالاغراق في التكوّن مع الاقلال من النظر في اللغة ذاتها لاستنباط قوانينها وقواعدها . ويمدّ ابن حيوج اول نحاة العبرية الذين اقاموا نحوهم على اسس علمية مما حدا بابراهام بن عزرا ، من نحاة القرن الثاني عشر ، ان يلقب ابن حيوج بامام النحاة .(١٥) ولا شك ان اهمّ اعمال ابن حيوج هو كشفه عن الاصل الثلاثي للالفاظ العبرية في كتابين هما « كتاب الافعال ذاوت اللين » و « كتاب الافعال ذوات المثلين » تحدث في الاول منهما عن الافعال التي يكون احد حروفها الاصلية حرف علة ، وهي الفعل الناقص والاجوف والمثال ، وبحث في كتابه الثاني في الافعال المضعفة ، وردّ هذه وتلك ، كما ردّ غيرها من الافعال والالفاظ العبرية ، الى اصل ثلاثي . ومرة اخرى نجد المصادر تجمع ان ذلك ما كان ليتمّ لولا مؤلفات النحاة العرب(١٦) ، الذين عرفوا الاصل الثلاثي للالفاظ واصبح من المسلّم به عندهم منذ الخليل في القرن الثامن الميلادي ، اي قبل مؤلفات ابن حيوج بنحو ثلاثة قرون. والغريب في الامر انه بالرغم من هذا الاكتشاف المتأخر للأصل الثلاثي ، فان ابن حيوج واجه موجة عنيفة من الاعتراض والا حتجاج على نظرياته كان ابرز ابطالها دوناش بن الابرد . وبقيت نظرية الاصل الثلاثي للالفاظ العبرية مجهولة لدى اليهود خارج الاندلس الى ان جاء الوقت الذي ترجمت فيه كتب الاندلسيين الى اللغة العبرية بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان . ورغم المعارضين فقد شاعت اعمال ابن حيّوج بين نحاة اليهود واصبحت موضع درس عميق ونظر متفحص وكتب بعضهم مدافعا عن آراء ابن حيّوج ، ودافع هو عن نفسه في اكثر من كتاب ، ولعل ابرز نتائج هذه المعارك والمساجلات النحوية كان تمهيد الطريق امام كتابة أول نحو عبريّ شامل على يد النحوي اليهودي الشهير ابو الوليد مروان بن جناح المولود في قرطبة في الثمانينيات من القرن العاشر الميلادي فكان بذلك من معاصري ابن حيوج . وقد كان من اول مؤلفاته « كتاب المستلحق » ، الفه ليستدرك على ابن حيوج بعض ما فاته في مؤلفيه الآنفي الذكر ، وليفند بعضا من نظريات ابن حيوج وآرائه . وقد اثار « كتاب المستلحق » لابن جناح موجة من التأليف لعدد من النحاة بين معترض ومؤيد ، وقد كتبت هذه المؤلفات جميعها بالعربية ، حتى ان واحدا من هذه الكتب استشهد بابيات كثيرة من الشعر العربي .(١٧) واهم قضية دارت حولها هذه المساجلات الكثيرة كانت الاختلاف في اصل الالفاظ : ثلاثي هو ام ثنائي ؟ كما انها كانت عاملا في اغناء النحو العبرى بتدقيق النظر في بعض موضوعاته ، واستكمال ابوابه ، والتعمق في دراسته .

ولا مراء في ان اعظم مؤلفات ابن جناح كان مؤلّفه الموسوم « كتاب التنقيح » الذي يتألف من قسمين : كتاب اللمع ، ويبحث في نحو العبرية القديمة ، وكتاب الأصول ، وهو معجم للغة التوراة . ويشكّل الكتابان معا اول دراسة شاملة متكاملة لعبرية التوراة ، كما انهما يعتبران دون ادنى ريب قمة الدراسات اللغوية العبرية في عصرهما ، وقد كتب ابن جناح كتابه باللغة المعروفة « بالعربية العبرية » ، وهي نمط من اللغة العربية كان يكتبه يهود الاندلس العربيه بالحروف العبرية .

اما عن الاثر العربي في هذا المؤلف ، فهو اوضح من ان يحتاج الى بيان ، ويبدو الاثر واضحا جليا من مقدمة الكتاب حتى نهايته . اذ يتافح ابن جناح في مقدمة كتابه ، ويبيّن ضرورته واهميته للدين وفهمه ودراسته بصورة تذكرنا بمقدمات كتب النحو العربي ، كما يعلل ابن جناح تأليفه للكتاب بالعربية على انه نابع من افتقار اللغة العبرية في ذلك العصر الى المصطلحات النحوية اللازمه للتاليف في مثل هذا الموضوع .(١٨) كما يتضح الاثر العربي ايضا في الشرح المستفيض للأصل الثلاثي للالفاظ العبرية الذي اقتبسه ابن جناح عن العرب دون اي شك والذي من اجله وضع كتاب الاصول وبلغ الاثر العربي حدا جعل ابن جناح معه يلجأ الى اللغة العربية يستمدّ منها الحجة والدليل للتدليل على صحة آرائه والبرهنة عليها ، لأن اللغة العربية على حد قوله ، هي اقرب اللغات الى العبرية . لعل خير ما يدلّل على الاثر البعيد للنحو العربي في فكر ابن جناح هو تلك الثروة الكبيرة من مصطلحات النحو العربي التي استخدمها في كتاب اللمعّ في معرض تأليفه للنحو العبري ، ومن امثلة ذلك : الاعتلال ، والتصريف ، والمجاز ، والاشتقاق ، واقسام الكلام الثلاثة : الاسم والفعل والحرف ، والفاعل ، والمفعول به ، والاسم بنوعيه : المفرد والمركب ، والاضافة بضربيها ، اللفظية والمعنوية ، والتمييز ، المصدر ، وغير ذلك كثير ازدحمت به صفحات كتاب اللمع وبالنظر الى ذلك كله فليس

من الشطط ولا من المغالاة القول بان كتاب اللمع هو كتاب نحو عربي في لغته ومنهجيته ومصطلحه وقواعده ، بل وحتى في ابوابه وتبويبه ، سوى ان الأمثلة التي اوردها المؤلف على ذلك كله كانت من اللغة العبرية لا من اللغة العربية .

وما قيل عن ابن جناح يقال في غيره من معاصريه من النحاة اليهود ، ويكفي ان نسرد بعض المؤلفات في هذا العصر لنتصور المدى تشبّع به النحو العبري بالنحو العربي . فقد الف اسحق بن يشوش في مدينة طليطلة « كتاب التصريف » ووضع موسى بن شوئيل جيقا تيلاّ القرطبي « كتاب التذكير والتانيث » ؛ في حين كان « كتاب حروف المعاني » من نصيب يهودا بن بلعم الذي اشتهر في طليطلة واصبح من اعلام النحو العبري فيها ، كما عرف بشغفه بالادب العربي شعره ونثره .(١٩) ومن مؤلفات ابن بلعم ايضا « كتاب الافعال المشتقة من الاسماء » و « كتاب التجنيس » . وفي الربع الاخير من القرن الحادي عشر ، وضع اسحق بن بارون « كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية » .(٢٠) ولعل من اطرف المؤلفات في هذه الفترة المنظومة النحوية التي نظمها سليمان بن جبيرول شعرا بالعبرية ؛(٢١) والتي تذكرنا بالفية ابن مالك الشهيرة . والذي توحى به هذه المؤلفات وامثالها ان نحاة العبرانية لم يقلدوا المنهج العربي في التاليف النحوى وحسب ، بل وكاني بهم كانوا كلما قراوا مؤلفا عربيا في اللغة والنحو بادروا الى تقليده وتطبيق افكاره ونظرياته على لغتهم . ولاشك في ان التشابه الكبير بين اللغتين العربية والعبرية كان من العوامل المساعدة لهم في ذلك كثيرا . والا فكيف نفهم هذا التطابق بين اسماء عدد كبير من كتب النحو العبرى ومؤلفات بعينها في النحو العربي ؟ بل ان هناك من يذهب الى ابعد من ذلك ليؤكد بان بعض علماء المسلمين كانوا « يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم .»(٢٢) فان صحّ هذا الامر ، وليس فيه غرابة على اي حال ، فانه يفسّر لنا هذه الظاهرة ، ظاهرة التأثير والتأثر التي تكاد تكون اقرب الى النقل المباشر ، والتي لم يعرف مثلها في تاريخ النحو في اي مكان او عصر آخر .

وهناك امرآخر واخير له دلالته على اهمية الاثر العربي في الدرس اللغوى العبرى وعمق هذا الاثر ، وهو ان هذه النهضة اللغوية التي حققها يهود الاندلس ابان الحكم العربي لم يعرف لها مثيل بين اليهود في اقطار اوروبة المجاورة للاندلس ، مثل ايطاليا وفرنسا والمانيا وحتى في ذلك القسم الواقع تحت حكم الفرنجة من اسبانيا ، حيث كانت تعيش اعداد كبيرة من اليهود ، بل ان هذه الجاليات اليهودية الاوروبية لم تكد تعرف شيئا من التاليف النحوى في اللغة العبرية ولا تناهى اليها جانب من النظر اللغوى الذي قام في الاندلس لجهلهم باللغة العربية التي كانت كما راينا لغة التاليف عند النحاة اليهود جميعهم ، الى ان قضت الظروف السياسية والتاريخ لبعض اليهود من المهتمين بالنحو في الاندلس القيام بترجمة اهم الاعمال الاندلسية في النحو العبري الى العبرية في اغلب الاحيان ، والى اللاتينية في بعضها الآخر .

نشات الظروف التي ادت الى انتشار نحاة الاندلس اليهود في اوروبة عقب ما يعرف بالفتنة ( ١٠٠٩ — ١٠١٢ م ) ؛ التي قضت على وحدة الاندلس وادت الى قيام عصر ملوك الطوائف ذلك العصر الذي اتسم بالتشتت والتفرق ، وبالتنازع بين الممالك المختلفة واستمر حتى عام ١٤٩٢ بسقوط آخر هذه الممالك وانتها الدولة العربية في الاندلس .

وقد اصاب اليهود وحل بهم وبعلمائهم ما اصاب المسلمين وحل بهم وبعلمائهم ، فقد « قضت الفتنة على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها » كما « اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ، قائمة في الاكثر على التجوال المستمر والاحتماء ببلاطات الأمراء . »(٢٣) اذن فقد ارتحل بعض نحاة اليهود ليعيشوا في الاقطار الاوروبية المجاورة وارتحل معهم نحوهم بكل سماته العربية ، واخذوا في نشره في الاقطار التي ارتحلوا اليها بالترجمة الى العبرية او اللاتينية حينا ، وبالتلخيص حينا ، وبالتاليف على غرار نحاة الاندلس بلغات غير العربية حينا آخر . وهكذا يكون هذا العصر من عصور النحو العبري امتدادا للأثر العربي وتوطيدا له وقد خلا او كاد من اية اضافة جديدة او اصالة . ولعل اهم ما تميزت به هذه الفترة هو ترجمة المصطلحات النحوية العربية التي امتلأت بها كتب ابن حيوج وابن جناح ووضع مقابلات عبرية لها لا تزال هي المعتمدة في النحو العبري حتى يومنا هذا . كما ان كتب النحو واللغة التي ترجمت الى العبرية في هذه الفترة ظلت منذ ذلك الحين وحتى الآن هي المثال الذي يحتذى في تاليف كتب النحو العبري وتعليمها

وفي وضع المعاجم العبرية كما انها اختطت لليهود المنهج الذي يسيرون عليه في تناول قضايا النحو واللغة في العبرية . وبعبارة اخرى فان الاثر العربي في النحو العبري ظل ثابتا لم يتزحزح وان كان يبدو الان اقل وضوحا لطول العهد به ، ولما اعتراه من متغيرات وعوارض نجمت عن الترجمة وعن اعتماد العبرية اساسا في التاليف ، ولما قد يغيب عن نظر الناظر حين يتأمل في المصطلح النحوي بعد ان لم يعد عربيا في لفته ، وان كان كذلك في اصوله الاولى .

ويطول بنا المقام ان نحن تتبعنا حركة الترجمة في هذا الصدد ، لذلك سنكتفي باستعراض بعض الامثلة نستدل بها على نوع الكتب المترجمة والمؤلفة وما قد كان لها من اثر على الاجيال اللاحقة من مؤلفي كتب النحو العبرى ودارسيها . مثالنا الاول هو ابراهام بن عزر الذي ولد في مدينة طليطلة العربية الاندلسية في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي ودرس العلوم العربية والعبرية دراسة متمكنة ، وقضى السنوات العشرين الاخيرة من حياته (١١٤٠ ـ ١١٦٠م) متجولا في فرنسا وايطاليا ، وقد الف اثناء تجواله عددا من كتب النحو بالعبرية، ولم تكن هذه الكتب في الحقيقة سوى تلخيصات ومختصرات لكتب ابن ابن حيوج وابن جناح وغيرهما .(٢٤) كذلك قام نحوى آخر هو سليمان بن برحون بتاليف كتاب في النحو في ايطاليا لم يكن سوى ترجمة امينه لافكار ابن حيوج وابن جناح الى الدرجة التي ظن البعض معها ان ذلك الكتاب كان ترجمة لمؤلفاتهما .(٢٥) اما الترجمة فقد انصبّ معظمها على كتب ابن حيوج وابن جناح ايضا ، فترجمت اعمالهما اكثر من مرة في الاقطار الاوروبية المختلفة وكان اول من ترجم المؤلفات النحوية العبرية ، الموضوعة بالعربية ، الى اللغة العبرية هو الكاهن موسى جيقاتيلا . وقام ابراهام بن عزرا بالعمل نفسه في روما حوالي ١١٤٠م . وترجمت الكتب نفسها ثالثا ورابعا في اماكن اخرى من اوروبا . كما ترجمت بعض كتب ابن بلعم في اواخر القرن الثاني عشر .

اما عن التاليف في النحو العبري في العصر الحديث ، سواء ما قام بتاليفه منها نحاة يهود أم ما وضعه مستشرقون اوروبيون ، فتكتفي بالاستشهاد في هذا المقام بما اوردته دائرة المعارف اليهودية في هذا الصدد التي تشير الى ان الاضافات والتجديدات التي ادخلت على النحو الاندلسي كانت جزئية وبسيطة ، ولذلك فانها تمثل استمرارا للنهج الاندلسي في التاليف والنظر النحوي ، ولم يستطع المحدثون حتى الآن ان يرقوا بالنحو العبري الى مرحلة يتخطون بها المرحلة التي وصل اليها على ايدى النحاة الاوائل في الاندلس .(٢٦)

هذا العرض الوجيز لنشاة النحو العبري وتطوره اغفل اسماء وتفاصيل كثيرة لم نهملها تتناقض مع الفكرة الاساسية لهذه المقالة بل تجنبا للاطالة والتكرار وهي جميعها انما تؤيد بقوة السبب الذي دعانا في البداية الى القول بضرورة التعرض الى نشاة النحو العبرى وتطوره عند التاريخ للنحو والنحاة في العربية والى اعتباره جزءا من التراث النحوى العربى ، لانه نحو كتب بالعربية وانبثق عن نحوها ، وترعرع في كنفه لا يغيّر من تلك الحقيقة ولا يضيرها ان يكون نحوا جاءت امثلته فحسب من العبرية بينما جاء كل شيء آخر فيه من العربية .

*

## الحواشي


1. Thomas A. Sebeok, editor. Historiography of Linguistics. Current Trends in Linguistics, volume 13 (The Hague : Mouton, 1975.
2. Haim Blanc. Linguistics among the Arabs, pp. 1265-1283 in the above book.
3. Nahum M. Waldman. The Hebrew Tradition. In Sebeok, op. cit., pp. 1286-1330.
4. R. H. Robins. A Short history of Linguistics (London : Longman, 1967), p. 30.
5. James Barr. Linguistic Literature, Hebrew. In Encyclopaedia Judaica, volume 16 (New York : Macmillan, 1972), p. 1354.
6. Hartwig Hirschfeld. Literary History of Hebrew Grammarians and Lexicographers (Oxford : Oxford University Press, 1926), p. 6.


(٧) احمد مختار عمر . البحث اللغوي عند العرب ( القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ ) ، ص٥٠ ـ ٥٧ .

(٨) من هذه : د . محمد التونجي . اللغه العبرية وادابها ( القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس ،١٩٧٥ ) ، ص ٢٧ ـ ٤٠ ود . عوني الرؤوف . قواعد اللغة العبرية

( القاهرة : مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧١ ) ، ص١٦ وما بعدها . ود . ربحي كمال . دروس اللغة العبرية ( بيروت ، ١٩٧٨ ) ، ص٤٦ وما بعدها .

9. Hirschfeld, op. cit., p. 7.
10. William Chomsky. Hebrew, the Eternal Language (Philadelphia : The Jewish Publication Society of America, 1975), p. 117.
11. James Barr, op. cit., p. 1335.
12. Cf. E. Kautzsch. Gesenius Hebrew Grammer (Oxford University Press, 1910), p. 19; William Bacher. Grammar, Hebrew. In The Jewish Encyclopaedia (New York: Funk & Wagnalls, 1904-1916), volume 6, p. 69; and Hirschfeld, op. cit., p. 11.
13. S. W. Baron. Hebrew Language and Letters. In Social and Religious History of the Jews, volume 8 (New York: Columbia University Press, 1958), p. 34.
14. Barr, op. cit., p. 1354.
15. Hirschfeld, op. cit., p. 35.

(١٦) انظر ، مثلا ، المصدر السابق نفسه .

(١٧) المصدر السابق ، ص٤٢ .

18. Edna A. Coffin. Ibn Janah's Kitab al-Luma' : A Critique of Medieval Grammatical Tradition. Unpublished Ph. D. dissertation (Ann Arbor : University of Michigan, 1968), p. 21.
19. Hirschfeld, op. cit., p. 58.
20. Barr, op. cit., pp. 1357-1358.
21. Hirschfeld, op cit., pp. 49-50.

(٢٢) هذا ما اورده البير مطلق في كتابه الحركة اللغوية ، في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ( صيدا وبيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ ) ، ص٢٦ نقلا عن .

Lévi-Provençal. Histoire de l'Espagne Musulmane (Paris, 1950), pp. 80-81.

(٢٣) البير مطلق ( المصدر السابق ) ، ص٢٥٧ .

24. Barr, op. cit., p. 1358.

(٢٥) المصدر السابق نفسه .

26. Barr, op. cit., p. 1391.